مفهوم العمل الخيري وتطوره التاريخي

الدكتور عبدالله السطي
باحث في الفقه الاجتماعي والإسلامي
جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة
المغرب

ملخص البحث:

يتناول البحث موضوع العمل الخيري وتطوره التاريخي، حيث بدأته بمقدمة، بعدها في الفصل الأول بتعريف مفهوم العمل الخيري، تعريفا عاما في اللغة العربية واللغات الأوروبية ثم عرفته تعريفا خاصا له علاقة بموضوع الدراسة وبعد ذلك تطرقت للمفهوم الإسلامي للعمل الخيري.

وقد خصصت الفصل الثاني لذكر التطور التاريخي لنشأة العمل الخيري حيث قسمته إلى مبحثين رئيسيين:

المبحث الأول: الرعاية الاجتماعية في الحضارات القديمة قسمته إلى ثلاثة مطالب: (المطلب الأول: في العصر الفرعوني، المطلب الثاني: في الحضارة الإغريقية، المطلب الثالث: في الحضارة الرومانية).

أما المبحث الثاني: خصصته للرعاية الاجتماعية عبر الأديان السماوية فأبرزت أهمية العمل الخيري في الديانة اليهودية والديانة النصرانية وكذا في الدين الإسلامي.

والمبحث الثالث: قدمت فيه لمحة عن الرعاية الاجتماعية في الغرب، وأنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث.

تصميم البحث:

مقدمة

أولا: الجانب النظري للعمل الخيري:

الفصل الأول: مفهوم العمل الخيري:

المبحث الأول: التعريفات العامة للعمل الخيري

المبحث الثاني: التعريف الخاص بالعمل الخيري

المبحث الثالث: المفهوم الإسلامي للعمل الخيري

-الفصل الثاني: التطور التاريخي لنشأة العمل الخيري:

المبحث الأول: الرعاية الاجتماعية في الحضارات القديمة

المطلب الأول: الرعاية الاجتماعية في العصر الفرعوني

المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية في الحضارة الإغريقية

المطلب الثالث: الرعاية الاجتماعية في الحضارة الرومانية

المبحث الثاني: الرعاية الاجتماعية عبر الأديان السماوية

المطلب الأول: في الديانة اليهودية

المطلب الثاني: في الديانة النصرانية

المطلب الثالث: في الدين الإسلامي

المبحث الثالث: الرعاية الاجتماعية في الغرب

رابعا: المصادر والمراجع

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن: العمل الخيري حسب الدكتور أيمن إسماعيل هو: " الجهود التي يبذلها الإنسان لخدمة المجتمع دون الحصول على فوائد مادية، بدافع إنساني يتحمل مسؤولياته ويشترك في أعمال تستغرق وقتا وجهدا وتضحيات شخصية".

و" الخير" معروف في أغلب الحضارات الإنسانية، كما أن "عمل الخير" مألوف في معظم تجارب الأمم، القديم منها والحديث، ويختلف فهم العمل الخيري في تجارب المجتمعات الغربية بتباين الخلفيات التاريخية والأعراف الخاصة بكل دولة.

وللخير وعمله مقاصد تختلف في تفاصيلها بحسب كل حضارة، ولكنها تتفق في كلياتها بين جميع الحضارات، حيث الإنسان هو من تنتظر منه المبادرة بعمل الخير. والعمل الخيري جانب أصيل من جوانب الإسلام، بل هو مقصد من مقاصده الأساسية. فقد حفل تاريخنا الإسلامي بتجارب رائعة وإبداعات غير مسبوقة في العمل الخيري، وإن كان واقعنا الراهن يشير إلى أننا تأخرنا في هذا الميدان، وتقدم غيرنا فيها.

وهذا التأخر عيب كبير، ولا يجوز السكوت عليه، أو التهاون في معالجة أسبابه، ومنافسة الأمم التي سبقتنا فيه حتى نساويها ونسبقها.

الفصل الأول: مفهوم العمل الخيري وعلاقته بالعمل التطوعي:

المبحث الأول: التعريفات العامة بالعمل الخيري:

المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري في اللغة العربية وفي اللغات الأوربية:

أ-مفهوم العمل الخيري في اللغة العربية:

وردت لكلمة "العمل" معان عدة في اللغة، منها:

العمل بمعنى: الفعل، يقال: عَمِلَ عَمَلًا، إذا فعله عن قصد.

والعوامل: الأرجل، يقال: عوامل الدابة، قوائمها.

ويقال: عامله، أي: تصرف معه في بيع وشراء، والعامل تأتي بمعنى: من يعمل في مهنة أو صنعة، وأيضا يراد بها: العاملين على الصدقات[1]كما في قوله تعالى: ﴿**والعاملين عليها** ﴾ (التوبة/ 60)، وهم السعاة الذين يأخذون الصدقات من أربابها ويسعون في جمعها[2].

وتأتي بمعنى: المستعمل من الأشياء، أي: الذي مهن في الاستخدام ولم يبق على حالته الجديدة[3].

- وكلمة الخير في اللغة العربية ضد الشر والضر، وتشير إلى كل ما فيه نفع وصلاح، أو ما كان أداة لتحقيق منفعة أو جلب مصلحة كالمال، ومن معانيها ومدلولاتها في اللغة:

الخير بمعنى: الدين أصوله وفروعه وشرائعه وكل ما أمر الله تعالى به من الطاعات والأعمال الصالحة[4]، ويدل على ذلك، قوله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ (آل عمران/ 104) وقوله تعالى﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ (البقرة / 148)، وقوله عز وجل: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات ﴾، (الأنبياء / 7). ويوضح ابن الجوزي[5] رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**﴾ (آل عمران/ 104)، فيرى بأن الخير في الآية فيه قولان:

أحدهما أنه الإسلام، والآخر: أنه العمل بطاعة الله تعالى[6]، ويرى علماء آخرون بأن المراد بالدعاء إلى الخير في الآية السابقة: الدعاء إلى جميع ما فيه صلاح ديني ودنيوي للآخرين[7].

ويأتي **الخير** في اللغة العربية بمعان أخرى منها:

المباراة والمغالبة: يقال خايره في كذا، أي: باراه وغالبه، ليريا أيهما خير من الآخر فيه.

وقد يراد به: التفضيل والاصطفاء، يقال: خير بين الأشياء: أي: فضل بعضها على بعض، ويقال: اختاره، أي: انتقاه واصطفاه[8]، ومنه قوله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ (القصص/ 68)، والمختار هو: المنتقى.

ويقصد به: المال الكثير الطيب، ومنه قوله سبحانه: ﴿**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية**﴾ (البقرة / 180)والمال هو المحبوب في قوله تعالى: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ (العاديات/ 8)

ويأتي الخير ليشمل متاع الدنيا من المال والصحة والسلطان والرفعة، كما في قوله تعالى: ﴿**لا يسئم الإنسان من دعاء الخير**﴾. (فصلت / 49)[9]

والخير لفظة شاملة لكل ما هو نافع ومرغوب فيه، يقول الأصفهاني رحمه الله: "الخير ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع"[10]

ب: في اللغات الأوربية

في إطار المقارنة، نجد أن كلمة (العمل الخيري: "philanthiropid" في اللغات الأوربية مشتقة من مصدرين في اللاتينية: الأول هو كلمة: "fhilein" وتعني "حب"، والثاني هو كلمة: "anthropon" وتعني الإنسان، ومعنى الكلمتين معا هو: "حب الإنسان"، وتكون كلمة "خير" بمعنى "الطيبة "kindness"، أي إن الخيرية هي صفة لمن يشعر بآلام الآخرين، ويرغب في تحقيق سعادتهم، أو في دفع الأذى عنهم[11].

ويختلف فهم العمل الخيري في تجارب المجتمعات الغربية بتباين الخلفيات التاريخية والأعراف الخاصة بكل دولة، أو بكل مجموعة من الدول[12]. ففي إنجلترا مثلا يستخدم مصطلح الإحسان "charity" كمرادف لمصطلح العمل الخيري "philanthropy"، أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فهناك تمييزين المفهومين، إذ يشير الإحسان إلى المنح والعطاء المتوجه لمعالجة نتائج مشكلة أو قضية ما، في حين أن العمل الخيري يوجه موارده لمعالجة أسباب المشكلة من جذورها والوقاية منها وتفادي وقوعها[13].

المبحث الثاني: التعريف الخاص بالعمل الخيري في هذه الدراسة

وتتسع دائرة مدلول (الخير) لتشمل: الإحساس بالآخرين، والتعاطف معهم، والدعاء لهم، وتشجيعهم، ورفع معنوياتهم، ومواساتهم ومنحهم الرؤية والمنهج، وإرشادهم لما فيه خير دينهم ودنياهم، والعمل الخيري يشمل تقديم المال، إلى جانب شموله للوقف والأنشطة والخدمات (اللاربحية)[14].

ويعرف الدكتور أيمن إسماعيل محمود يعقوب العمل الخيري، بأنه الجهود التي يبذلها الإنسان لخدمة المجتمع دون الحصول على فوائد مادية، بدافع إنساني بتحمل مسؤولياته، ويشترك في أعمال تستغرق وقتا وجهدا وتضحيات شخصية، ويبذل المتطوع كل ذلك عن رغبته وباختياره، معتقدا بأنه واجب يجب تأديته، فهو بمثابة خدمة إنسانية نبيلة يقدمها الإنسان إلى أخيه الإنسان، إذا ألمت به نازلة أو كارثة معينة، حيث يخفف عنه آلامها وآثارها، ويشاركه أحزانها[15]

المبحث الثالث: المفهوم الإسلامي للعمل الخيري:

يرى بعض العلماء[16]أن الأعمال الخيرية في الإسلام على نوعين هما:

الأول: ما يكون الإحسان والمعروف فيه قاصرا على فاعله:

وهذا يشمل العديد من العبادات التي جاء بها الإسلام: كتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والمشي إلى الصلاة، ونحو ذلك، فهذه العبادات ثوابها قاصر على الممتثل فيه الأمر الله تعالى في أدائها، لكون مناط فعلها يقتضي مباشرة أداء المسلم لها بنفسه.

الثاني: ما يكون الإحسان والمعروف فيه متعديا إلى الآخرين:

ولذلك شواهد عديدة حث عليها الإسلام وأمر بها، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعليم، وإمامة المسجد، والأذان، والسعي في جلب النفع للناس، ودفع الأذى عنهم، وإلقاء السلام، وتشميت العاطس، والإصلاح بين الناس، والصدقة، ونحوها.

وقد أكد الله عز وجل على أن فعل الخير عموما، وما يكون فيه من مساعدة للآخرين والإحسان إليهم يعد: شعبة أساسية من شعب الإيمان[17].

المبحث الرابع: علاقة العمل الخيري بالعمل التطوعي

الملاحظ أن الكثير من البحوث في المجال الاجتماعي تستعمل مصطلحي: العمل التطوعي والعمل الخيري مترادفين، فمصطلح العمل التطوعي يشير أساسا إلى أي عمل قد يقوم به شخص واحد، أو أكثر بصورة منظمة دون أي مقابل، مهما كان حجم هذا العمل أو طبيعته، أما مصطلح العمل الخيري فإنه غالبا ما يقصد به الخدمات المقدمة إلى الفئات الفقيرة والمحرومة[18] إذن يمكن القول أن العمل التطوعي هو عمل الخير في كل جوانبه

الفصل الثاني: التطور التاريخي للعمل الخيري:

تقديم تاريخي عام:

عندما نتحدث عن الجذور الأولى للعمل الاجتماعي، نجد التاريخ يجرنا إلى عصور بعيدة جدا ضاربة في الزمن، حيث ارتبط هذا المجال منذ القدم بضرورة الإسهام في النهوض بالمجتمعات، ومحاربة الفقر، والمشاكل الناجمة عنه تحت لواء العمل الخيري الذي يرجع مفهومه بدوره إلى عصور قديمة جدا.

فالفقر والبؤس والمرض والحاجة والضعف، والعجز واليتم والترميل. . . . والمشاكل الصحية النفسية، والعقلية والجسمية. . . وغير ذلك من شتى أنواع الأزمات والكوارث البشرية كلها صادفت المجتمع الإنساني عبر تاريخه الطويل، وفي مقابل تلك الأزمات البشرية، كان ولا زال المجتمع الإنساني في صراع، وفي محاولات دائمة لمجابهة تلك الأزمات بتقديم الرعاية الاجتماعية اللازمة للفئات المتضررة.

تشير الدراسات الاجتماعية أن المجتمع الإنساني منذ العصور البدائية الأولى وهو يميل نحو الحماية والمساعدة المتبادلة بين أفراد الجماعة، كيف ذلك؟

جرى العرف في تلك المجتمعات على أن رئيس الأسرة أو القبيلة مسؤول عن حماية أفرادها من المخاطر، سواء جاءت هذه المخاطر في شكل هجمات من جماعات أخرى، أو في شكل كوارث طبيعية، وكان على أفراد الجماعة مساعدته في القيام بهذا العمل، وبالتالي

لعبت هذه المساعدات المتبادلة دورا كبيرا في حماية الأسرة ضد الأخطار الإنسانية أو الطبيعية، ومع ذلك فإن تلك الحماية والمساعدة لم تكن تمتد إلى من هم في أمس الحاجة إليها: الضعفاء: مرضى وعجزا وذوي العاهات، بل كانت المجتمعات البدائية تحرم تلك الفئات حقها في الرعاية والعطف، حيث ساد اعتقاد بأن وجود هذه الفئات[19].

يعد مظهرا من مظاهر اللعنة التي تجلبها الأرواح الشريرة على الجماعة وبالتالي فهي عبء ثقيل على الجماعة، ومن ثم لم تكن لتحصل على الرعاية الاجتماعية الملائمة.

لكن ومع ذلك برز منذ القدم تيار عمل عبر مساعي وطرق عديدة على بلورة مفهوم الرعاية الاجتماعية وترسيخها في نفوس المجتمعات الأولى وإن تم ذلك بشكل متفاوت إنه التيار أو الدافع الديني. سأحاول بإذن الله من خلال هذا الفصل، الدخول بالتطرق لمجموعة من الحضارات القديمة في إطار سيرورة تاريخية لرصد بعض ملامح العمل الخيري في بداياته الأولى.

المبحث الأول: الرعاية الاجتماعية في الحضارات القديمة

المطلب الأول: الرعاية الاجتماعية في العصر الفرعوني

تعمدنا الاستعانة بمصطلح الرعاية لأنها تمثل الارهاصات الأولى للعمل الاجتماعي الخيري، لأن العمل أو الخدمة الاجتماعية كمهنة لم تمارس بشكل متخصص إلا مع بداية القرن العشرين.

إذن الأصل هو الرعاية وليس العمل أو الخدمة كمهنة قائمة الأركان، يذكرنا التاريخ بأن الحضارة الفرعونية اتسمت بمساعدة المحتاج، وكفالة حق الحياة الكريمة للأفراد على قدر المستطاع رغم هيمنة وسيادة وتسلط الطبقة الحاكمة آنذاك وقد تأثرت الرعاية الاجتماعية في هذه الحضارة بالوضعية العامة السائدة في الدولة آنذاك، والتي كانت تحكمها مجموعة من الأبعاد والمحددات.

البعد الأول: الجانب الديني

فمعظم أنشطة الرعاية الاجتماعية في الحضارة الفرعونية كانت ذات صبغة دينية بحتة، حيث كان للدين سلطانا قويا على شعب مصر، ومن الاعتقادات الشديدة عند فراعنة مصر: البعث والخلود والحياة مرة أخرى بعد الموت الأول، وكان ذلك الاعتقاد هو الدافع الأساسي والمُحرك لمشاعر حب الخير والعمل الصالح الذي يقوم به الإنسان في حياته الأولى لكي تثقل من ميزانه عند البعث في الحياة الأخرى[20].

ولقد دلت الصور والرسوم الموجودة على جدران معابد قدماء المصريين وقبورهم على أن العمل الخيري المتمثل في مساعدة الفقراء كان موجودا لديهم خاصة في حفلات الأسر الملكية، وكان المواطنون العاديون يقدمون تبرعاتهم للمحتاجين، فقد كانت المعابد هي التي تتلقى تلك المساعدات والتبرعات، من محاصيل الأرض، ومنتجات الماشية، لتوزيعها على الفقراء بمعرفة الكهنة[21].

البعد الثاني: الخدمات الطبية

ظهر الطب أول الأمر متماشيا مع السحر، لذلك ارتبط بالكهنة في بدايته، وكانت المعابد تتخذ كمكان لعلاج المرضى، ثم أنشأت أماكن أخرى للعلاج شبيهة بالمستشفيات الحالية.

البعد الثالث: الخدمات التعليمية

في إحدى مقابر الفراعنة ثم العثور على لقب "معلم أولاد الملك" كما وجدت بعض المدارس في ذلك الوقت كانت تسمى "بيت الحياة".

البعد الرابع: الجنود والمسنين

لم تقتصر الرعاية على الفقراء فحسب، بل امتدت إلى رعاية الجنود التي تعتبر من أهم صور الرعاية الاجتماعية في تلك الحضارة نظرا لأهمية تلك الفئة في حماية الدولة والدفاع عنها.

كما شملت الرعاية الاجتماعية المسنين أيضا، وذلك ببناء المعابد والأماكن الخاصة لإيوائهم ورعايتهم[22].

المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية في الحضارة الإغريقية

انتشر الإغريق على طول شواطئ البحرين المتوسط والأسود، وصولا إلى جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية.

قامت الرعاية الاجتماعية في الحضارة الإغريقية على مبدأ البقاء للأقوى والأصلح، وكان ذلك نتيجة حتمية للصراعات والحروب التي تميزت بها الدولة الإغريقية، الأمر الذي كان يتطلب القوة والسلامة والمهارة الحربية، وقد تمثل ذلك في قانون: "لوكورجوس" الذي كان يلزم الآباء إخطار الدولة بمولد طفلهم ليعرض على لجنة من مجلس الشيوخ توكل لها مهمة التقرير في مسألة بقاءه في الحياة أو التخلص منه إذا اتسم بعاهة أو ضعف أو مرض، حيث يعرضونه للهلاك حتى الموت.

وكان من بين ما نادى به المفكر الإغريقي "أفلاطون" وجوب التخلص من الأطفال المعاقين عن طريق قتلهم للمحافظة على نقاء العنصر البشري في البلاد، فإذا كان الطفل قوي الجسم سليما يصدر الأمر بتربيته وتعليمه وإقطاعه قطعة في الأرض. ما ميز الرعاية الاجتماعية في الحضارة الإغريقية أنها كانت عملة لوجهان: الأول سلبي كما رأيناه أعلاه، والثاني إيجابي يؤمن بضرورة مساعدة الضعفاء والمحتاجين، حيث وجد فريق كان ينادي بأهمية هذه الرعاية لأفراد الدولة حتى تكفل لهم حياة كريمة، وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد أمثال: أرسطو، سقراط، لضمان كرامة الإنسان بتقديم المعونة والمساعدة للفقراء في حالات الكوارث والفيضانات كما كان يعتبر "بريكليس" مساعدة الضعفاء والفقراء اقتصاديا من القواعد الأخلاقية التي يجب أن تفخر بها أثينا[23]. وقد كان اهتمام أغنياء اليونانيين القدماء موجها لرعاية أبناء السبيل وتوفير الطعام والمأوى للغرباء، وتقديم المساعدات للمحتاجين والغالب على هذه الحضارة قيام خزانة الدولة نفسها بالرعاية الاجتماعية لشعبها.

المطلب الثالث: الرعاية الاجتماعية في الحضارة الرومانية:

كان سكان الدولة الرومانية (الرومان) ينقسمون إلى قسمين: جماعة الأشراف: ثم طبقة العامة، وقد كان الأشراف يملكون كل شيء، والعامة مجرد أتباع لهم، وليس لهم حقوق ولا كيان، وبعد صراع طويل تطورت الأمور في تلك الحضارة في اتجاه محاولات لتحقيق المساواة بين الجماعتين الأشراف والعامة، وكان العمل الاجتماعي التطوري في هذه الحضارة يتمثل في طبقة النبلاء، فهم الذين يوزعون القمح على الفقراء عندما يشتد القحط.

المبحث الثاني: العمل الخيري عبر الأديان السماوية

عرفنا في المبحث السابق أن الرعاية الاجتماعية والعمل الخيري الاجتماعي وجدا منذ القدم، وقبل ظهور الأديان السماوية، إلا أنهما لم يتخذا طريقا واضحا إلا عند نزول أول الشرائع السماوية، وبناء على ذلك ظهر عامل جديد في مجال الرعاية الاجتماعية، يدعو إليها، ويشجع على تقديمها إنه الدافع إلى فعل الخير والبر بالفقراء، ومساعدة الضعفاء، والمحتاجين على أساس أن كل هذه المنافذ تؤدي

مباشرة إلى كسب رضاء الله تعالى في الحياة الدنيا، ونيل ثوابه في الآخرة. وأصبح الأخذ بيد البؤساء والمحتاجين واجبا دينيا في اليهودية والمسيحية والإسلام.

وعليه دعت إذن الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والاسلام إلى العمل في المجال الاجتماعي، وإن كان قد أخذ في بداية الظهور طابع الطوعية[24].

المطلب الأول: اليهودية

كثير من نصوص العهد القديم، تحدد نماذج لما نعرفه اليوم باسم الرعاية الاجتماعية والعمل الخيري من خلاله، وأصدق دليل على ذلك الوصايا العشر التي نزلت على موسى عليه السلام والتي منها.

- طوبى للذي ينظر للمساكين في يوم الشر ينجيه الرب.
- افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك.
- من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه.
- من الضروري تقديم يد العون والمساعدة للفقير والمسكين والمضطر.
- لا ينهر الفقير ولا يحقر المسكين.

إذن من خلال هذه الوصايا يتبين أن التوراة الذي نزل على سيدنا موسى عليه السلام، يحث على ضرورة مساعدة المساكين والفقراء والمضطرين لأن نتيجة هذه المساعدة التواب والأجر من الله[25].

المطلب الثاني: النصرانية

جاءت النصرانية في أصولها غير المحرفة مكملة للديانة اليهودية واستمرارا لها في اتجاهاتها نحو الإحسان ورعاية المحتاجين[26]، وفي كثير من نصوص العهد الجديد (الإنجيل)، نجد الأصول الأولى للرعاية الاجتماعية، التي يعبر عنها في مواضع كثيرة:

- بالصدقة يقبل الصوم، ومعها تقبل الصلاة.
- من سألك أعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.
- الله سبحانه وتعالى يكافئ من يشبع الفقير.
- كل أنواع الهبات مرغوب فيها.

وقد تبنت الكنيسة هذا الواجب الديني باعتبارها تشمل القوة الروحية والمؤسسة الدينية في المجتمع فأصبحت تمثل النواة الرئيسية في مجال الرعاية الاجتماعية من إطعام الجائع، وتمريض المريض ورعاية الأيتام والأرامل، وتماشيا مع ذلك أنشأت بيوت المحبة (الملاجئ)، أما المعاقون فكانوا يوضعون بدافع من الرحمة والشفقة عليهم في ملاجئ خاصة، حيث يطعمون[27].

وينامون ما داموا على قيد الحياة وعلى العموم اهتمت النصرانية بالعمل الخيري اهتماما كبيرا، فالنصراني الموسر يعطي الكنيسة لعمل المشروعات الخيرية المختلفة[28].

المطلب الثالث: الدين الإسلامي

قبل التطرق إلى العمل الاجتماعي الخيري الاسلامي لا بأس أن نشير إلى أن ذلك المجتمع الجاهلي الذي جاء إليه الاسلام، لم يكن كله عصرا مظلما، حيث اتصف العرب في جاهليتهم بصفات حميدة كثيرة، كان من ضمنها في إطار موضوعنا: إعانة الملهوف ونصرة الضعيف والمظلوم، وفي هذا المجال يحدثنا التاريخ العربي أن بعض عشائر قريش عقدت مؤتمرا شكل صورة حية ورائدة للعمل الاجتماعي في ذلك العصر، حيث اتفق المؤتمرون على ألا يجدوا بمكة مظلوما من سائر الناس إلا نصروه حتى ترد مظلمته، ولو أدى ذلك إلى إنفاق أموالهم[29].

وإذا كان القرآن الكريم قد وضع أسس الرعاية الاجتماعية في شكل مبادئ عامة، فإن السنة النبوية تناولت بأنواعها القولية والفعلية والتقريرية شرح هذه المبادئ[30] وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿**وءاتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب**﴾ (سورة البقرة: 177)وقوله صلى الله عليه وسلم (من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن، تقضي عنه دينا، تقضي له حاجة، تنفس له كربة)[31]. وقوله عليه الصلاة والسلام (خير الناس أنفعهم للناس)[32].

المبحث الثالث: الرعاية الاجتماعية في الغرب:

لعبت الديانة اليهودية والمسيحية دورا كبيرا في الرعاية الاجتماعية في المجتمعات الغربية، فكلاهما أكد على أهمية الأعمال الخيرية وأعمال البر والإحسان في مساعدة المحتاجين كما سبق ذكره في مباحث سابقة، فمع تزايد نفوذ الكنيسة وانتشار الدين المسيحي في معظم أنحاء أوروبا، بدأ الدافع الديني يحل محل الدوافع الغيرية (حب الغير) في مساعدة المحتاجين. وأصبح الدافع الديني من أقوى الدوافع في عمل الخير وتقديم الإحسان، وبهذا فقد ظهر عامل جديد في مجال الرعاية الاجتماعية يحث عليها ويقوي من الرغبة في تقديمها ألا وهو كسب رضاء الله في الدنيا، ونيل الثواب في الآخرة. وأصبحت مساعدة الفقراء والمحتاجين واجبا دينيا في كل من اليهودية والمسيحية. وهكذا احتلت الكنيسة في العصور الوسطى مكان الصدارة في مجال الرعاية الاجتماعية في أوروبا [33]وقد كانت البيوت المخصصة للمصابين بمرض الجذام من أكثر المؤسسات الخاصة بالرعاية المجتمعية انتشارا في أوروبا. ويقدر عددها بحوالي 19000 دار خلال القرن الثالث عشر[34].

وخلال المرحلة اللاحقة للعصور الوسطى سيطرت على أوروبا القيم التجارية والميل نحو الفقر وكانت القيم والمبادئ التجارية من أبرز ما يميز السياسات الاقتصادية خلال فترة القرن السابع عشر والثامن عشر. ومن الأهداف الرئيسة لهذه السياسات تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي للدولة وليس النهوض بالرعاية الاجتماعية للمواطنين[35].

وكانت الثورة الصناعية في الواقع نقطة تحول بارزة في تاريخ البشرية، اثرت ليس فقط في أسلوب الإنتاج أو الانتقال به من العمل اليدوي إلى العمل الآلي، وإنما أثرت على مختلف جوانب الحياة في المجتمع بكل فئاته وطبقاته[36].

وقد شهد القرن العشرون تطورات كبيرة في برامج وسياسات الرعاية الاجتماعية سواء عن طريق المساومة بين الجماعات التي تمارس الضغط وصانعي القرار السياسي كما هو الحال بالنسبة للديمقراطيات الغربية، أم عن طريق التخطيط المركزي كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات الشيوعية[37].

وهكذا بدأت مرحلة جديدة تحددت في ضوئها معالم العلاقة بين الفرد والدولة، بعد أن كانت في المرحلة السابقة تحددها اعتبارات اخرى تمثلها حاجة الفرد للكنيسة أو لسيده الإقطاعي الذي يعيش في كنفه[38].

خاتمة: أهم نتائج البحث

-يتحصل للباحث مما سبق أن المراد بالعمل الخيري في اصطلاح هذه الدراسة هو: كل مال أو جهد أو وقت يبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم.

-يرى بعض العلماء أن الأعمال الخيرية في الإسلام على نوعين هما:

الأول: ما يكون الإحسان والمعروف فيه قاصرا على فاعله:

وهذا يشمل العديد من العبادات التي جاء بها الإسلام: كتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والمشي إلى الصلاة، ونحو ذلك، فهذه العبادات ثوابها قاصر على الممتثل فيها لأمر الله تعالى في أدائها، لكون مناط فعلها يقتضي مباشرة أداء المسلم لها بنفسه.

الثاني: ما يكون الإحسان والمعروف فيه متعديا إلى الآخرين:

ولذلك شواهد عديدة حث عليها الإسلام وأمر بها، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعليم، وإمامة المسجد، والأذان، والسعي في جلب النفع للناس، ودفع الأذى عنهم، وإلقاء السلام، وتشميت العاطس، والإصلاح بين الناس، والصدقة، ونحوها.

وقد أكد الله عز وجل على أن فعل الخير عموما، وما يكون فيه من مساعدة للآخرين والإحسان إليهم يعد: شعبة أساسية من شعب الإيمان.

-الحضارة الفرعونية اتسمت بمساعدة المحتاج، وكفالة حق الحياة الكريمة للأفراد على قدر المستطاع رغم هيمنة وسيادة وتسلط الطبقة الحاكمة آنذاك وقد تأثرت الرعاية الاجتماعية في هذه الحضارة بالوضعية العامة السائدة في الدولة آنذاك.

-ما ميز الرعاية الاجتماعية في الحضارة الإغريقية أنها كانت عملة لوجهان: الأول سلبي، وقد تمثل ذلك في قانون: "لوكورجوس" الذي كان يلزم الآباء إخطار الدولة بمولد طفلهم ليعرض على لجنة من مجلس الشيوخ توكل لها مهمة التقرير في مسألة بقاءه في الحياة أو التخلص منه إذا اتسم بعاهة أو ضعف أو مرض، حيث يعرضونه للهلاك حتى الموت، وكان من بين ما نادى به المفكر الإغريقي "أفلاطون" وجوب التخلص من الأطفال المعاقين عن طريق قتلهم للمحافظة على نقاء العنصر البشري في البلاد، والثاني إيجابي يؤمن بضرورة مساعدة الضعفاء والمحتاجين، حيث وجد فريق كان ينادي بأهمية هذه الرعاية لأفراد الدولة حتى تكفل لهم حياة كريمة، وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد أمثال: أرسطو، سقراط، لضمان كرامة الإنسان بتقديم المعونة والمساعدة للفقراء في حالات الكوارث والفيضانات.

-الرعاية الاجتماعية في الحضارة الرومانية: وكان العمل الاجتماعي التطوري في هذه الحضارة يتمثل في طبقة النبلاء، فهم الذين يوزعون القمح على الفقراء عندما يشتد القحط.

-في الديانة اليهودية: ومن خلال الوصايا العشر التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام يتبين أن التوراة الذي نزل على سيدنا موسى عليه السلام، يحث على ضرورة مساعدة المساكين والفقراء والمضطرين لأن نتيجة هذه المساعدة التواب والأجر من الله.

– أما في الديانة النصرانية: فقد تبنت الكنيسة هذا الواجب الديني باعتبارها تشمل القوة الروحية والمؤسسة الدينية في المجتمع فأصبحت تمثل النواة الرئيسية في مجال الرعاية الاجتماعية من إطعام الجائع، وتمريض المريض ورعاية الأيتام والأرامل، وتماشيا مع ذلك أنشأت بيوت المحبة (الملاجئ)، أما المعاقون فكانوا يوضعون بدافع من الرحمة والشفقة عليهم في ملاجئ خاصة، حيث يطعمون.

– ولما كان الإسلام آخر الديانات السماوية، فقد جاء بنظام متكامل للرعاية الاجتماعية، هذا النظام يقوم على أساس التكافل الاجتماعي والتعاون بين الناس في سبيل الخير، وحض الاسلام على البر والرحمة والعدل والإحسان

الهوامش:

[1]إعداد د. عبدالله بن محمد بن عبدالمحسن المطوع. – العمل الخيري المؤسسي: دراسة وصفية ميدانية على مؤسستين خيريتين في المملكة العربية السعودية – طبعة 1429هـ/2008م – الرياض – المملكة العربية السعودية–ص 40

[2]ابن كثير 360/2 – تفسير القرآن العظيم، طبعة: 1406هـ–دار الفكر، بيروت، لبنان.

[3] –الزمخشري–أنظر (مادة عمل) أساس البلاغة، ص 435 – 436.

[4]د. عبدالله بن محمد بن عبدالمحسن المطوع– العمل الخيري المؤسسي– ص 41.

[5] – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي، ولد سنة 510هـ، اشتهر بالوعظ ونظم الشعر، له عدد من المؤلفات، توفي – رحمه الله – في رمضان 597هـ، أنظر: ابن العماد، شذرات الذهب، 1399هـ، ط 2، دار السيرة، بيروت 329/4 – 331).

[6] – أنظر ابن الجوزي، زاد المسير، 1414هـ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ 352/2.

[7] – البيضاوي، أنوار التنزيل، بدون سنة طبع، دار الجيل، بيروت ص84– القاسمي –محاسن التأويل– دار إحياء الكتب العربية– القاهرة، تعليق الشيخ فؤاد عبد الباقي. 3 – 920/4

[8]د. عبدالله بن محمد بن عبدالمحسن المطوع –العمل الخيري المؤسسي – ص 42.

[9] – أنظر المراجع اللغوية الآتية: الزمخشري (مادة: خار – خير) أساس البلاغ، ص 179، ابن منظور– لسان العرب –، 264/4 – 267.

[10]الأصفهاني– المفردات في غريب القرآن – 212/1.

[11]مراد وهبة– المعجم الفلسفي: معجم المصطلحات الفلسفية–دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص320

[12]د. إبراهيم البيومي غانم– تقديم: المستشار طارق البشري– مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية – 1431 هـ/ مايو 2010 الطبعة الأولى، – مكتبة الشروق الدولية – مصر الجديدة–ص22

[13] – نفس المرجع السابق – ص 23.

[14]تأليف: أ. د عبد الكريم بكار– ثقافة العمل الخيري: كيف نرسخها؟ وكيف نعمِّمها؟ –1433 هـ /2012م، الطبعة الأولى – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة – مصر– ص 12

[15]د. أيمن إسماعيل محمود يعقوب– أولويات بحوث ودراسات العمل الخيري– 2008م/ 1429هـ: الطبعة 1 – المركز الدولي للأبحاث والدراسات مداد – المملكة العربية السعودية– ص 24

[16]–انظر: ابن رجب – جامع العلوم والحكم، ط 1، 1408هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ص 233 – 237، 245– 248،

[17]–انظر: هذا القول للشيخ د. يوسف القرضاوي في مقدمة كتاب لسليمان العلي–: تنمية البشرية والمالية في المنظمات الخيرية، – طبع مؤسسة الأمانة– بدون تاريخ الطبع، أمريكا، ص 17 – 18.

[18]حامد شاكر ثابت–– فن خدمة الجماعة– صفحة 327.

[19]د يمينة هكو– تاريخ ونظريات العمل الاجتماعي– يونيو 2011– الطبعة الأولى – مكتبة الشيخ حسن القدس – وجدة– ص 44 و 45.

[20] – نفس المرجع السابق – ص 46 – 47 – 48.

[21]الأستاذ الدكتور: أحمد إبراهيم حمزة– العمل الاجتماعي التطوعي: الواقع والمأمول– 1436/2015 هـ: الطبعة الأولى ـ – دار السيرة للنشر والتوزيع والطباعة – عمان – الأردن– ص 18.

[22]ديمينة هكو– تاريخ ونظريات العمل الاجتماعي– ص 46–47.

[23] –نفس المرجع السابق – ص 48–49–50.

العمل الاجتماعي التطوعي: الواقع والمأمول – ذ. أحمد إبراهيم حمزة – ص 18.

[24]ذ. أحمد إبراهيم حمزة– العمل الاجتماعي التطوعي – ص 18 وانظر كذلك: ديمينة هكو– تاريخ ونظريات العمل الاجتماعي– ص 54 – 56 – 57.

[25]ذ. أحمد إبراهيم حمزة– العمل الاجتماعي التطوعي: المواقع والمأمول– ص 19.

[26]عبدالله علي النعيم– العمل الاجتماعي التطوعي– بحث مقدم إلى مؤتمر (العمل التطوعي والأمن)، 25 – 17 ستشير 2004 – الرياض – ص 4.

[27]د. أحمد إبراهيم حمزة– العمل الاجتماعي التطوعي – ص 19، أنظر كذلك: ديمينة هكو– تاريخ ونظريات العمل الاجتماعي– ص 58.

[28]ديمينة هكو– تاريخ ونظريات العمل الاجتماعي– ص 58.

[29] – نفس المرجع السابق– ص 58 – 59.

[30]د. أحمد إبراهيم حمزة- العمل الاجتماعي التطوعي– ص 19.

[31] – أخرجه الألباني في صحيح الجامع.

[32] – أخرجه الطبراني والدارقطني والبيهقي والألباني في الصحيح برقم 426.

[33]الدكتور سليمان علي الدليمي–الرعاية والخدمة الاجتماعية التطور التاريخي–المجالات –الإدارة –1435هـ/2014 – الطبعة الأولى – دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع –عمان- الأردن- ص 49.

[34]–Ibid. p. 38

[35]–Pinker. R ;S ;The Idea of welfare. London. Heinemsnn. 1979. p. 75

[36]الدكتور سليمان علي الدليمي–الرعاية والخدمة الاجتماعية– ص 60

[37]–الدكتور سليمان علي الدليمي–الرعاية والخدمة الاجتماعية– ص 66

[38]–نفس المرجع- ص70